

سورة التحريم ﴿الآية: 5﴾

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف تسلية الله عز وجل لنبيه ليدفع عنه الهم والغضب.
- 2- أن أستنتج عتاب أمهات المؤمنين الواردة في الآية.
- 3- أن أتحدى بقيم التواضع والاحترام في علاقاتي الأسرية والاجتماعية.

تمهید

بعد أن بين الله عز وجل غضب الرسول ﷺ مما صدر عن بعض أزواجه ، وأنهما إن تظاهرا عليه بدافع المحبة والغيرة ، فقد حصل له ما حصل من الأذى بسبب سلوكهما ، جاءت هذه الآية لتحذرهما من أن يبذل الله نبيه أزواجا خيرا منهن في الدين والصلاح والتقوى ، وفي كل الشؤون الزوجية .

فلماذا حذر الله عز وجل نساء رسول الله ﷺ؟ وكيف يكون لهذه القصة أثر في حياتي الأسرية والاجتماعية؟

الآيات

قَالَ تَعَالَى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ خَلَّفَكَ أَنْ يُبَيِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ

مُؤْمِنَاتٍ فَاِنتَنّٰ قُلُوبُهُنَّ عَلٰى مَا سَمِعَتْ نِسْوَاتٍ لِّبَنَاتِهِنَّ وَلُبْنَ لَهُنَّ [سورة التحريم: 5]

الفهم

الشرح:

فَاتَّيْتُ: عابدات.

تَأْتِيَاتٍ: تائبات من كل الذنوب ، فلا يصررن عليها.

عَلِيَّاتٍ: متعبّدات.

سَائِلَاتٍ: صائحات.

تَيْبَاتٍ: الثيب من تزوجت وفارقت زوجها بعد أن مسها.

وَأُبْكَارًا: البكر هي المرأة التي لم توطأ قط.

استخلاص مضامين الآية:

- بم سلى الله عز وجل نبيه ﷺ بعد ما حل به من هموم؟

التفسير

بعد عتاب حفصة وعائشة رضي الله عنهما ، وأمرهما بالتوبة إلى الله عز وجل مما صدر عنهما في جانب نبيه الكريم الذي وعده بالنصرة ، تضمنت هذه الآية المزيد من التأديب الرباني لأمهات المؤمنين والتخويف الشديد لهن ، حيث وعد رسوله ﷺ بأنه لو طلقهن لأبدله سبحانه خيرا منهن ، فقال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ هذه الآية ، نصرة للنبي ﷺ وتسليية له ، لأنها تحذر زوجاته رضي الله عنهن أنهن إن تمادين في إيذاء الرسول ﷺ فقد يستغني عنهن ويبدله الله خيرا منهن ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ... فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ» [صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾].

وتأتي ﴿عَسَى﴾ للرجاء، لكنها في كلام الله تعالى تأتي للتحقيق، لكن جوابها هنا معلق على شرط لم يقع وهو طلاقهن، وإذا لم يقع الشرط فلا يتحقق المشروط أي: عسى إن طلقن رسول الله ﷺ أن يبدله الله أزواجا خيرا منكن، لكن الرسول ﷺ لم يطلقهن، فلم يبدله الله غيرهن، فهن زوجاته في الدنيا وفي الآخرة، قال الألوسي: «عسى في كلامه تعالى للوجوب، وأن الوجوب هنا إنما هو بعد تحقق الشرط» [تفسير الألوسي: 28 / 155].

ثم بين الله صفات هؤلاء الزوجات، وهي صفات كمال في الزوجة الصالحة بقوله: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَلْبِسْنَ عِلْمَائِهِنَّ بِسَلْبَاتٍ وَيُحِبُّْنَ رَبَّهِنَّ وَأُكْرِهَهُنَّ﴾
فقد ذكر الله عز وجل ثمان صفات لهؤلاء الأزواج، وهي أنهن:

﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ﴾ الإسلام هو الانقياد، والإيمان هو التصديق، أي: منقادات طائعات لله عز وجل، مصدقات لكل ما جاء به رسول الله ﷺ، وقد بين ابن جزي رحمه الله العلاقة بين الإيمان والإسلام فقال: «ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه:

- باختلاف المعنى كقوله: ﴿لَمْ تَدِينُوا وَلَا لَكُمْ قَوْلٌ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: 14].
- وبالاتفاق لا اجتماعهما كقوله: ﴿بِأَخْرَجْنَا مَرَكَا فِيهِمَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا وَجَعْنَا فِيهِمَا غَيْرَ بَيْنٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: 35-36].

- وبالعموم فيكون الإسلام أعم، لأنه بالقلب والجوارح، والإيمان أخص لأنه بالقلب خاصة» [التسهيل: 152/2].

﴿قَانِتَاتٍ﴾ أي: عابدات أو مطيعات. قال فخر الدين الرازي: «وقيل: قائمات بالليل للصلاة، وهذا أشبه لأنه ذكر السائحات بعد هذا والسائحات الصائمات، فلزم أن يكون قيام الليل مع صيام النهار» [مفاتيح الغيب: 571/30].

﴿تَلْبِسْنَ﴾ أي: تائبات من كل الذنوب، فلا يصرن عليها.

﴿عَلِيَّاتٍ﴾ أي: كثيرات العبادة لله عز وجل، قال القاسمي: «متعبّات لله، كأن العبادة امتزجت بقلوبهن، حتى صارت ملكة لهن» [تفسير القاسمي: 275/9].

﴿سَلِيَّاتٍ﴾: معناه الصائمات قاله ابن عباس. وقد روي عن النبي ﷺ، وقيل: معناه مهاجرات، وقيل: ذاهبات إلى الله، لأن أصل السياحة الذهاب في الأرض.

﴿تَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ أي: منهن ثيبات ومنهن أبكار، ودخلت الواو هنا للتقسيم. ولو سقطت لاختل المعنى، لأن الثبوبة والبكارة لا يجتمعان، وقال الكوفيون: هي واو الثمانية وذلك ضعيف.

قال الخازن في تفسيره: «وهذا من باب الإخبار عن القدرة لا عن الكون، لأنه قال إن طلقن، وقد علم أنه لا يطلقهن، فأخبر عن قدرته أنه إن طلقهن أبدله أزواجا خيرا منهن تخويفا لهن». [تفسير الخازن: 316/4].

يستفاد من هذه الآية ما يأتي:

- أن من حقوق الرسول ﷺ على أمته التأدب معه ونصرته واحترامه.
- أن الإنسان مهما بلغت مكانته ينبغي أن يتواضع ولا يزكي نفسه، فقد يكون هناك من هو أفضل منه دينا والتزاما.

● التقويم

- 1- أبين سبب نزول الآية.
- 2- ما الغاية من تذكير أمهات المؤمنين بأن الله قد يبدل نبيه ﷺ خيرا منهن؟
- 3- أوضح دلالة الواو في قوله تعالى: ﴿تَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾.
- 4- ما هي القيم السلوكية التي تستفاد من الآية؟

● الاستثمار

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «تُنْكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَظَفَرُ بَذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»
[صحيح مسلم كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرُوجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِضٌ»
[سنن الترمذي، أبواب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه وفروجه]

- أكتب موضوعاً إنشائياً أبرز فيه الصفات المطلوبة شرعاً في الزوجة والزوج، وأثرها في صلاح الأسرة واستقرارها، مستعينا بما تضمنه الحديثان أعلاه.

● الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيتين: 6-7 من سورة التحريم وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1- أبين مضمون خطاب الله للمؤمنين والكافرين في الآيتين.

2- كيف يقي الانسان نفسه وأهله من النار؟